

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مدرسة العلم والفقہ في بيت النبوة



الأحد 3 مايو 2026 08:00 م

تقدّم سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نموذجًا فريدًا للمرأة المسلمة التي جمعت بين شرف الصحبة، وقربها من رسول الله ﷺ، وعمق العلم، ورجاحة الفقه، وحسن البلاغة، حتى أصبحت مرجعًا للأمة في القرآن والسنة والفتوى، وواحدة من أعظم الشخصيات العلمية في تاريخ الإسلام

وقد عرض الدكتور علي محمد الصلابي في تناوله لسيرتها جوانب واسعة من مكانتها، بدءًا من نسبها الشريف وبيتها الإيمانية، مرورًا بفضائلها الخلقية والعلمية، وانتهاءً بدورها الكبير في حفظ السنة النبوية وتعليم الأمة، بما يجعل سيرتها بابًا مهمًا لفهم مكانة العلم والمرأة في الإسلام

نسب شريف ومكانة رفيعة في بيت النبوة

كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه في الهجرة، وقد اجتمع لها شرف النسب وشرف الصحبة وشرف القرب من النبي ﷺ، فكانت حبيبة رسول الله ﷺ وزوجته، والصديقة بنت الصديق، وأم المؤمنين التي خاطبها المسلمون بهذا اللقب الكريم

وعرفت رضي الله عنها باسم عائشة، ولقبت بالصديقة، وكانت تكنى بأُم عبد الله، كما اشتهرت بين المسلمين بألقاب تدل على قدرها ومكانتها، ومنها الحميراء والمبرأة والطيبة وحبيبة النبي ﷺ، وقد التقى نسبها مع نسب رسول الله ﷺ في الجد السابع من جهة الأب

وقد نشأت عائشة رضي الله عنها في بيت إيمان وصدق، فكان أبوها أبو بكر الصديق من أسبق الناس إلى الإسلام، ومن أعظم الصحابة يقيًا ونصرة للنبي ﷺ، ولذلك تلتقت في بيت أبيها معاني التوحيد والصدق والورع قبل أن تنتقل إلى بيت النبوة وتعيش في كنف رسول الله ﷺ

وكان لقربها من النبي ﷺ أثر عظيم في تكوينها العلمي والروحي، فقد عاشت معه حياة امتلأت بالتعليم والمشاهدة والسؤال، وسمعت من حديثه ما لم يسمعه غيرها، ورأت من أحواله الخاصة والعامة ما جعلها تنقل للأمة جانبًا واسعًا من هديه في العبادة والمعاملة والبيت

صفات خُلقية صنعت شخصية عالمة عابدة

اتصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بصفات خُلقية رفيعة، أبرزها الصدق والذكاء والفهم السريع وحضور الذهن، وقد ورثت من أبيها رضي الله عنه صفاء النفس وقوة الإدراك، فكانت دقيقة في نقل الحديث، حريصة على أداء العلم كما سمعته وفهمته

كما جمعت رضي الله عنها بين الزهد والورع والجود، فقد عاشت معيشة بسيطة وذات ضيق الحياة، لكنها كانت كثيرة البذل على الفقراء والمساكين، ترعى الأراميل واليتامى، وتقدم المعروف دون تعلق بالدنيا، فكان عطاؤها شاهدًا على صدق إيمانها وسمو نفسها

وكانت رضي الله عنها رقيقة القلب خاشعة قانتة، لا ترى لنفسها فضلًا رغم قربها من رسول الله ﷺ، وقد نقل عنها قولها: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة، وهو قول يدل على شدة خوفها من الله وعمق تواضعها وكمال مراقبتها لربها

ومن حياتها رضي الله عنها أنها قالت إنها كانت تدخل بيتها الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبوها، فلما دفن عمر رضي الله عنه معهما كانت لا تدخل إلا مشدودة عليها ثيابها حياءً منه، وهذا يدل على حياء راسخ لم يمنعها من تعليم الأمة أمور دينها

وقد عرفت رضي الله عنها بالشجاعة أيضاً، فكانت تمشي إلى البقيع ليلاً، وتحضر بعض مواطن الجهاد، وتشارك في خدمة المسلمين، ومن ذلك ما روي عنها في يوم الخندق حين خرجت تتبع آثار الناس، فسمعت حركة الأرض وراءها، فاجتمع فيها العلم والعبادة والشجاعة

عائشة رضي الله عنها مرجع الأمة في القرآن والسنة والفقہ

تبوأ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مكانة علمية رفيعة، حتى أصبحت مرجعاً لأكابر الصحابة والتابعين في مسائل القرآن والحديث والفقہ، وقد قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: ما أشكل علينا حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً

وساعدها على هذه المكانة علمها الواسع بالقرآن الكريم، فقد سمعت القرآن منذ صغرها، وعاشت في بيت الوحي، وشهدت نزول كثير من الآيات، وكانت لا تكتفي بالحفظ، بل تسأل النبي ﷺ عن المعاني والأحكام، حتى صار لها فهم راسخ في التفسير وأسباب النزول

كما أدت رضي الله عنها دوراً كبيراً في رواية السنة النبوية وتوثيقها، فقد بلغت مروياتها عن رسول الله ﷺ 2210 أحاديث، منها 174 حديثاً متفقاً عليها عند البخاري ومسلم، وانفرد البخاري بـ54 حديثاً، وانفرد مسلم بـ69 حديثاً، وبقيت مروياتها في كتب السنن والمسانيد والمعاجم

وكانت رضي الله عنها فقيهة مجتهدة لا تقف عند ظاهر النص وحده، بل تجمع بين الدليل وفهم المقاصد ومعرفة اللغة، وكانت تتورع عن الكلام بغير علم، وتراجع ما يستشكل عليها، وتعلم الناس بأسلوب واضح متأن، حتى قال عطاء رحمه الله عنها: كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة

ولم يقتصر علمها على الفقہ والحديث، بل عرفت بالتاريخ وأيام العرب وسيرة النبي ﷺ، وكانت فصيحة بليغة، تحفظ الشعر وترويه، وقد قال موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة، فكانت لغتها وعلمها وحفظها أدوات في خدمة الدين وتعليم الأمة

دروس دعوية من سيرة أم المؤمنين

تعلم سيرة عائشة رضي الله عنها المسلمين أن العلم الشرعي لا ينفصل عن العبادة والخلق، وأن القرب من النصوص يحتاج إلى فهم وسؤال وتثبت، فقد جمعت بين حفظ الحديث وفقهه، وبين الورع في الفتوى، وبين الجرأة العلمية والأدب في الخلاف

كما تؤكد سيرتها أن المرأة المسلمة كانت حاضرة في بناء المعرفة الإسلامية منذ عصر النبوة، فقد علمت الرجال والنساء، ورجع إليها كبار الصحابة في الفرائض والأحكام، وتركت للأمة منهجاً علمياً قائماً على الدليل والفهم والتثبت وحسن البيان

وفي وفاتها، انتقلت رضي الله عنها إلى جوار ربها في ليلة الثلاثاء 17 رمضان سنة 57 هـ، وقيل 58 هـ أو 59 هـ، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه بعد صلاة الوتر، ودفنت في البقيع، وبقي علمها وسيرتها نوراً في ذاكرة المسلمين

وهكذا تبقى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مدرسة دعوية وعلمية متكاملة، فقد خدمت القرآن والسنة، وربت الأمة على السؤال والفهم، وحفظت جانباً عظيماً من حياة النبي ﷺ، وخلدت بسيرتها معنى المرأة العالمة العابدة التي تجمع بين الحياء والقوة والعلم والعمل